

جامعة الخرطوم – كلية الآداب

قسم الدراسات الإسلامية

مستوى خامس + التمهيدي

مادة علوم الحديث

سمنار بعنوان : مقدمة حول مناهج المحدثين

في تدوين السنة النبوية صحيح البخاري

أنموذجا

إعداد الطالبة : أماني مُحَمَّد عثمان عبدالله

عمر

إشراف : بروفييسور فيروز مُحَمَّد صالح

2017م

في هذه الورقة نتناول سيرة الإمام البخاري في وقفات تحكي مكانة الرجل العلمية وهو إثبات يصب في غرض البحث .. فالبحث موجه لمنكري السنة ومعلوم كونهم على ضربين فريق ينكر حجية السنة بالكلية .. ليس هؤلاء موضع دراستي وفريق يؤمن بالحجية لو كان صادقا لكن يطعن في ثبوتها ووصولها لنا صافية نقية كما جاء بها رسول الله عليه الصلاة والسلام

سيكون حديثي على شكل نقاط ووقفات توضح الصورة الذهنية العامة للبحث:

الوقفة الأولى : ترجمة الإمام البخاري الميلاد والنشأة :

اسمه : هو أبو عبدالله مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدَزْبَه الجعفي البخاري. مُحَمَّد اسمه .. إسماعيل والده .. إبراهيم جده الأول .. المغيرة جده الثاني .. بردزبه جده الثالث بَرْدَزْبَه وهو الجد الثالث للبخاري و هذا لفظه بالبخارية ومعناه في العربية الزَّراع أو الزارع فأما الجعفي :فنسبة إلى يمان المسندي البخاري الجعفي الذي أسلم على يديه المغيرة الجد الثاني للبخاري

فانتمى إليه بالولاء وانتقل الولاء في أولاده، وأصبح الجعفي نسباً له ولأسرة البخاري الولاء بالإسلام: أي أن من أسلم على يد شخص فولاه له وهو نوع من الروابط التي جعلها الإسلام لتوثيق عرى الوحدة وتأکید الأخوة بين المسلمين (سؤال للشيخ)

رُوي عن والد الإمام البخاري أنه سمع من الإمام مالك بن أنس ورأى حماد بن زيد (ما الفرق بين سمع ورأى ؟) وصافح عبدالله بن المبارك بكلتا يديه يعني أنه أدرك طبقة الأئمة الأربعة ..

وأما البُخاري :فنسبة إلى مدينة "بُخارى" الواقعة في بلاد ما وراء النهر وهي الآن تقع في الجزء الغربي من جمهورية "أوزبكستان" الاتحاد السوفيتي سابقا ولا أعلم على وجه الدقة ما هي الآن بالضبط .

ولد يوم الجمعة بعد صلاتها لثلاث عشرة ليلةً خلت من شهر شَوَّال سنة أربع وتسعين ومائة "بُخارى" وقد ذكر البخاري أنه وجد تاريخ مولده بخط أبيه.

مات أبوه وهو صغير فنشأ في حجر أمّه وكان أبوه قد ترك مالا أعان أمّه على تنشئته وتربيته التربية الكريمة قال أبوه "إسماعيل" عند وفاته: "لا أعلم في مالي درهماً من حرامٍ ولا شبهةٍ" ذهبت عيناه في صغره فرأت أمّه خليل الرحمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام في المنام فقال لها: "يا هذه قد ردّ الله على ابنك بصره بكثرة دعائك أو بكائك" فأصبح وقد ردّ الله له بصره... ربما تعرض الإمام لعدة أذهبت بصره وربما ذهب دون علة وربما تناول شيئاً كان سبب شفائه وربما شفي فقط بالدعاء ولا يشكك مسلم في استجابة الدعاء دون سبب بشري معلوم .. كل هذا مما لا شك فيه لكن للأسف

يأتي من يسمي نفسه ناقداً وباحثاً علمياً يخبر أن الإمام البخاري وُلد أصلاً ضريباً والعجيب أنه يثبت هذه الجزئية فقط كما حكاها التاريخ ويتجاهل عمداً غيرها .. وبالتالي يشكك في باقي مقدراته العلمية هذه فكيف لكيف بكل هذا .. مثل صاحبنا هذا يتلقف الشبهة ولا يكمل بقية الرواية وقد يخرجها اخراجاً مبتسراً مشوهاً لا يحكي العلمية في شيء بل يحكي رغبة القوم في الانتقاد فقط والهجوم على هذا الإمام العظيم وإرثه الأعظم لشيء في نفوسهم ... ومثل هذا تناول المحقق الذي قد يصل حد الكذب أو يحكي نوع جهل مخيف يشكك في كثير ممن نصبوا أنفسهم لما سموه نقد مناهج المحدثين إذ لا يملك كثير جداً منهم ولا حتى أهلية القراءة الصحيحة ولديهم أخطاء فادحة محيرة بحق .

الوقفه الثانية طلب الإمام البخاري للعلم والحديث ورحلاته:

ظهر نبوغه العلمي في سن مبكرة وهو ابن عشر سنين فبدأ بطلب العلم ببلده "بُخَارَى" قبل أن يرتحل منها .. وفي ست عشرة سنة حفظ كُتب ابن المبارك ووكيع ودرس فقه أصحاب الرأي هناك من قد يشكك هنا أيضاً ليحكي أن في الأمر مبالغة .. ولو كان لديه خلفية حقا بحال القوم حينها لعلم أن الأمر أكثر من عادي .

وبالنسبة لزماننا هذا نفسه لتتخيل طالب ثانوية عامة يمتحن في 7 مواد خلال 3 سنوات مثلاً يتقن 21 كتاباً يضبطها فيحز نسبة 90% فما فوق .. المئة الأوائل في السودان ربما أدنى نسبة 94 فأين

الغرابة؟؟ كان حفظ القرآن عندهم في سن السابعة كما حفظ الإمام البخاري .. الآن عندنا من يحفظ في سن خمسة سنوات !! وكتب الإمام بن المبارك لم تكن من المطولات ولا المجلدات فلم التصور المسبق أن في الأمر معجزة إلهية وغرابة وسابقة لا مثيل لها؟؟ عبارة درس فقه أصحاب الرأي لا تعني

أنه صار مثل الأئمة الأربعة في الفقه ... ومعلوم في البحث العلمي فيم كان اشتهاار الإمام البخاري المتفرد ؟ في علم الحديث وليس الفقه ؟؟ فأين تمحيص الناقدین الصادق؟؟

سئل البخاري : كيف كان بدءُ أمرِك؟ قال :

"أُهِمْتُ حِفْظَ الْحَدِيثِ وَأَنَا فِي الْكُتُبِ

فَقِيلَ : كَمْ كَانَ سِنُّكَ؟

فَقَالَ : عَشْرَ سِنِينَ أَوْ أَقَلَّ

فَلَمَّا طَعَنْتُ فِي سِتِّ عَشْرَةَ سَنَةً

كُنْتُ قَدْ حَفِظْتُ كُتُبَ ابْنِ الْمُبَارَكِ وَوَكَيْعٍ

وَعَرَفْتُ كَلَامَ هَؤُلَاءِ

ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَ أُمِّي وَأَخِي إِلَى " مَكَّةَ "

فَلَمَّا حَاجَجْتُ رَجَعْتُ بِهَا

وَتَخَلَّفْتُ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ . "

فكان هذا أول ارتحاله في طلب العلم وكان ذلك حوالي سنة عشر ومائتين للهجرة .. ثم رحل إلى المدينة والشام ومصر ونيسابور والجزيرة والبصرة والكوفة وبغداد وواسط ومرو وبلخ .. وغيرها .

قال الخطيب البغدادي " : رحل في طلب العلم إلى سائر محدثي الأمصار .. كل هذه الرحلة العلمية المبسوطة في مراجع ثقات شتى ثم يأتي من يقول أن البخاري شخصية خيالية فاللهم هداية .

الوقفة الثالثة : سبب تأليف صحيح الإمام البخاري :

ذكر المؤرخون أن الباعث للإمام البخاري لتصنيف الكتاب أنه كان يوماً في مجلس أستاذه إسحاق بن راهويه فقال إسحاق : ((لو جمعتم كتاباً مختصراً لصحيح سنة النبي عليه الصلاة والسلام)) فوقع هذا القول في قلب البخاري فأخذ في جمع الكتاب .. وزوي عن البخاري أنه قال : ((رأيت النبي عليه الصلاة والسلام كأني واقف بين يديه وبيدي مروحة أذب عنه ... فسألت بعض المعبرين فقال: إنك تذب عنه الكذب فهو الذي حملني على إخراج الصحيح)) فرجح بعض العلماء أن طلب إسحاق بن راهويه كان أولاً ثم جاءه المنام فأكد ذلك عزم البخاري على تصنيف

الكتاب ... ولنتأمل هنا أن العلماء بحثوا أيضاً في جزئية أيهما الأسبق؟ الرؤية أم طلب راهويه؟ ومع ذلك يأتي من يهدر جهوداً بهذه الضخامة والدقة والتحري بمزاعم واهية بمكان ..

الوقفه الرابعة : مدّة تصنيف كتاب صحيح البخاري:

اشتغل البخاري في تصنيف الكتاب وجمعه وترتيبه وتنقيحه مدّة طويلة ذكر البخاري أنها بلغت ستة عشر عامًا وذلك خلال رحلاته العلمية الواسعة إلى الأقاليم الإسلامية فكان يرحل لطلب الحديث ثم يعود لإكمال ما بدأ من التصنيف ممّا سمعه وضح لديه وتجمع عنده من الحديث الصحيح.. وقد ابتدأ تصنيفه في المسجد الحرام قال البخاري: ((صنفت كتابي هذا في المسجد الحرام وما أدخلت فيه حديثاً حتى استخرت الله تعالى وصليت ركعتين وتيقنت صحته)) وجمع تراجمه في المسجد النبوي - ونعني بالتراجم هنا عناوين كتابه التي قسّم الصحيح عليها مثل (بؤب البخاري باب العلم قبل القول والعمل) - .. قال أبو أحمد بن عدي الجرجاني: ((سمعت عبد القدوس بن همام يقول: سمعت عدّة من المشايخ يقولون: حوّل محمد ابن إسماعيل البخاري تراجم جامع بين قبر النبي ﷺ ومنبره وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين)) وأكمله وبيّضه في بخارى - مسودة البحث هي النسخة الأولية منه وتكثر فيها التعليقات والتصويبات حتى تصير الورقة سوداء من كثرة المكتوب فيها لذا تسمى مسودة فالتبييض هو النسخة الأخيرة التي لا تعليق حولها ولا تعديل فتصير بيضاء صافية - وقد حرص البخاري على الدقّة والتثبت في إخراج الكتاب فأعاد النظر فيه عدّة مرات وتعاهده بالتهذيب والتنقيح.. ولم يكد يتم تصنيفه حتى عرضه على شيوخه وأساتذته ليعرف رأيهم فيه .. ومنهم شيخه الإمام علي بن المديني، ويحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، فاستحسنوه وشهدوا له بالصحة. قال العقيلي: ((لما ألف البخاري كتابه الصحيح عرضه على ابن المديني ويحيى بن معين وأحمد بن حنبل وغيرهم فامتحنوه، وكلهم قال كتابك صحيح إلا أربعة أحاديث)). قال العقيلي: ((والقول فيها قول البخاري وهي صحيحة)).

الوقفه الخامسة: مكانة كتاب صحيح البخاري العلمية واهتمام العلماء به:

بالرغم من كثرة كتب الحديث عند أهل السنة والجماعة إلا أن العلماء اعتبروه أصح الكتب المصنفة في الحديث و ثاني أصح الكتب على الإطلاق بعد القرآن الكريم وقد ذكر ذلك العديد من العلماء ونقل بعضهم إجماع الأمة على ذلك:

أ) قال الذهبي: ((وأما جامع البخاري الصحيح فأجل كتب الإسلام وأفضلهما بعد كتاب الله تعالى)).

ب) يقول النووي: ((أول مصنف في الصحيح المجرد صحيح البخاري ثم صحيح مسلم وهما أصح الكتب بعد القرآن والبخاري أصحهما وأكثرهما فوائد... وقيل : مسلم أصح والصواب الأول)).

ت) ويقول النووي ((أيضاً أتفق العلماء رحمهم الله على أن أصح الكتب بعد القرآن العظيم هما الصحيحان البخاري ومسلم وتلقتهما الأمة بالقبول)).

ث) قال السخاوي: صحيح البخاري وصحيح مسلم أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى.

ج) قال ابن الصلاح : وكتابهما (البخاري ومسلم) أصح الكتب بعد كتاب الله العزيز.

ح) قال ابن حجر العسقلاني : وكتابهما (البخاري ومسلم) أصح الكتب بعد كتاب الله العزيز.

خ) وقال ابن تيمية: فإن الذي اتفق عليه أهل العلم أنه ليس بعد القرآن كتاب أصح من كتاب البخاري ومسلم.

د) وقال صديق حسن خان : ((إن السلف والخلف جميعاً قد أطبقوا على أن أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى صحيح البخاري ثم صحيح مسلم)).

ذ) وقال الألباني : ((والصحيحان هما أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى باتفاق علماء المسلمين من المحدثين وغيرهم)).

ر) وقال الشيخ عبد المحسن العباد: ويتفقان (صحيحا البخاري ومسلم) في أن العلماء تلقوهما بالقبول واعتبروهما أصح الكتب بعد كتاب الله العزيز.

نقل عن أبي زيد المروري أنه قال : كنت نائماً بين الركن والمقام، فرأيت النبي عليه الصلاة والسلام في المنام فقال لي: يا أبا زيد إلى متى تدرس كتاب الشافعي ولا تدرس كتابي؟ فقلت: يا رسول الله... وما كتابك؟ قال : جامع محمد بن إسماعيل ((

الوقفه السادسة : ثناء الأئمة على الإمام البخاري في شخصه هو رحمه الله تعالى قبل مؤلفاته

ومصنفاته:

جعل الله له لسان صدقٍ عند العلماء وأصحاب التّراجم فما زال العلماء منذ عصره يُثنون عليه وعلى كتابه " الصحيح " حتى إنّ بعضهم ألف مؤلّفًا مستقلًّا في ترجمته ومناقبه كالذهبي وابن كثير وابن حجر وغيرهم كثير، وهذه بعض أقوال وثناء أهل العلم عليه:

قيل للإمام علي بن المديني أن البخاري رحمه الله تعالى قال : " ما استصغرتُ نفسي إلا بين يدي علي بن المديني " فقال عليّ : ((دَعُوا هذا فَإِنَّ مُحَمَّدَ بن إِسْمَاعِيلَ لم يَرِ مِثْلَ نفسه))

وقال عمرو بن عليّ الفلاس : ((حديثٌ لا يعرفه مُحَمَّدُ بن إِسْمَاعِيلَ ليس بحديث.))

قال إسحاق بن راهويه : ((اكتبوا عن هذا الشاب - يعني البخاري - فلو كان في زمن الحسنِ

لاحتاج إليه الناس؛ لمعرفته بالحديث وفقهه)) أي حتى في زمن التابعين كان سيُحتاج إليه وهذا غاية الرفعة فليس بعد التابعين سوى الصحابة وهؤلاء لا سبيل للحوق بهم فقد رفع العلم وجفت الصحف فيمن اختاره مولاه ليلقى نبيه عليه الصلاة والسلام ويؤمن به ويموت على ذلك .

وقال أبو عيسى الترمذي: ((لم أرَ بالعراق ولا بخراسان في معنى العِلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد أعلم من مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل))

وقال نعيم بن حمّاد، ويعقوب بن إبراهيم الدورقي: ((مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيلَ فقيه هذه الأمة))

وجاء " مسلم " إلى البخاري فقال: ((دَعْنِي أُقْبِلْ رَجُلِيكَ يا أستاذ الأُستاذين، وسيّد المُحدّثين، وطبيب الحديث في عِللِهِ)) سؤال ده جمع ول مثنى وقصدو منو؟؟

وقال " مسلم " أيضًا : ((لا يبغضك إلا حاسدٌ، وأشهد أنه ليس في الدنيا مثلك))

وقال أحمد بن حنبل: ((ما أخرجتُ خراسان مثل مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل)) .

وقال عبدالله بن سعيد بن جعفر: ((سمعتُ العلماء بالبصرة يقولون: ما في الدنيا مثل مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيلَ في المعرفة والصلاح))

وقال ابن خزيمة: ((ما رأيتُ تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله - ﷺ - وأحفظ له من مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل))

وقال أبو بكر بن أبي شيبة ومُحَمَّد بن عبدالله بن مُمير: ((ما رأينا مثل مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل))

وقال الحافظ ابن كثير: ((هو إمام أهل الحديث في زمانه، والمقتدى به في أوانه، والمقدم على سائر

أضرابه وأقرانه)) وقال: ((وقد كان البخاري - رحمه الله - في غاية الحياء، والشجاعة، والسّخاء،

والورع، والرّهد في الدنيا دار الفناء، والرّغبة في الآخرة دار البقاء))

بعد كل هذا الثناء من هذا الجمع الغفير من العلماء في القديم والحديث عن الإمام البخاري في نفسه ثم الثناء على كتابه الصحيح تحديداً بعد كل هذه الحقائق والوقائع يأتي من ينفي ويعترض ويشكك في الأصل والفرع فحال هذا هو مثل من يشكك في نسبة قوانين الجاذبية لنيوتن ونظرية النسبية لاينتشايين إن كان بحجة الشخصية الخيالية أصلاً أو وجود الشخصية الحقيقي لكن خيالية هذه الأوصاف عنه وهذه فرية ما بها مرية لا يقول بها عاقل قط ..

وبالجملة: فقد روى المؤرخون كثيراً من الروايات والأحداث التي تدلّ على صفات الإمام البخاري وشمائله من ورع وإخلاص وصدق وسماحة وكرم وتواضع وحُسن عبادة وغير ذلك من كريم الأخلاق فكان البخاري مُكثرًا من الصلاة طویل القيام بها وكان يخشع بحيث لا يشغله شيء عن صلاته وكان كثير القراءة للقرآن بحيث يختم كل يوم ختمة أو أكثر كما حجّ عدّة مرّات وكان حريصاً على التورّع في جرح الرواة وترك الغيبة بحيث أنه يختار كلمات لا يمكن أى شخص أن يؤاخذ بها المجرّح ومن كلماته: تركوه أو أنكروه الناس وأشدّها عنده أن يقول: منكر الحديث .ومن أبلغ ما يقول في الرجل المتروك أو الساقط: فيه نظر أو: سكتوا عنه. ولا يكاد يقول فلان كذاب. قال مُحمّد بن أبي حاتم: ((سمعته يقول: لا يكون لي خصم في الآخرة. فقلت: يا أبا عبد الله إن بعض الناس ينقم عليك التاريخ يقول فيه اغتيال الناس. فقال: إنما روينا ذلك رواية ولم نقله من عند أنفسنا)) كما كان كريماً سمحاً زاهداً في الدنيا كثير الإنفاق على الفقراء والمساكين.. وخاصة من تلاميذه وأصحابه... بالإضافة إلى ما تتمّع به من القدرة الكبيرة على الحفظ والإتقان وتقدّمه وتفوّقه في الحديث وعلومه بشهادة أقرانه وشيوخه.

الوقفه السابعة: من مآثور الإمام البخاري الشهير فيما يحكيه هو عن نفسه ويعضدّ مقالة شيوخه
فيه:

((ما وضعت في كتابي الصحيح حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين))

((ما جلست للحديث حتى عرفت الصحيح من السقيم وحتى نظرت في عامة كتب الرأي وحتى دخلت البصرة خمس مرات أو نحوها فما تركت بها حديثاً صحيحاً إلا كتبتّه إلا ما لم يظهر لي))

((ما أردت أن أتكلّم بكلامٍ فيه ذكر الدنيا إلا بدأت بحمد الله والثناء عليه))

((أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحدا))

((لا أعلم شيئاً يُحتاج إليه إلا وهو في الكتاب والسنة فقليل له : يمكن معرفة كل ذلك؟؟ فقال نعم))

هذا الإمام البخاري يخبر عن نفسه أنه وصل درجة في الطلب أنه يستطيع اثبات أي شيء بواسطة الكتاب والسنة وهذه المقولة مهمة جدا .. بعض الناقدين يخبر أن قواعد الإمام البخارية اجتهادية من عند شخصه والإمام البخاري نفسه رحمه الله تعالى أنه كان يستدل على كل شيء بالقرآن لا بإجتهاده الشخصي أو هواه كما زعم من انتقده

الوقفة الثامنة: شيوخ الإمام البخاري ومن روى عنهم:

أتاحت للإمام البخاري رحلاته الكثيرة وتطوافه الواسع في الأقاليم لقاء عدد كبير من الشيوخ والعلماء، حتى بلغوا أكثر من ألف رجل... قال البخاري : ((كتبت عن ألف وثمانين نفسا ليس فيهم إلا صاحب حديث)) وقال : ((دخلت بلخ فسألوني أن أملي عليهم لكل من كتبت عنه فأملت ألف حديث عن ألف شيخ)) ولم يكن البخاري يروي كل ما يأخذه أو يسمعه من الشيوخ بل كان يتحرى ويدقق فيما يأخذ، فقد سئل مرة عن خبر حديث فقال : ((يا أبا فلان تراني أدلس؟! تركت أنا عشرة آلاف حديث لرجل لي فيه نظر، وتركت مثله أو أكثر منه لغيره لي فيه نظر))

بعد هذه الترجمة اليسيرة الضرورية للإمام البخاري وأضواء حول صحيحه نأتي للحديث عن الشبهات فنقول على شكل نقاط أيضا:

1. من الملاحظ وبوضوح شديد الخواء والسطحية والهشاشة لكل من تصدى لما سماه نقد السنة النبوية حجياً وثبوتاً .. كل من أجرى مسحاً أولياً في العينات والنماذج الملمّعة إعلامياً والمخدومة يلاحظ كمّ الغناء الموجود بصورة تجعلك تشمئز من الرد العلمي والمناطقة الفكرية بسبب التباين الشديد

في كل شيء حتى على مستوى الأخلاق.. نلاحظ سقوطاً شنيعاً وتردياً مريعاً يجعلك تأنف وبشدة أن يجمعك بهم مضمراً واحد ولو كان النفس والهضم .. لكن لأنه وبكل أسف هناك منخدعون كُثُر توجب الرد .

2. عادة كل منكري السنة النبوية وأعدائها قيامهم بجمع النصوص التي تتعلق ببداية البعثة المحمدية والتي ورد فيها نهي النبي ﷺ عن كتابة شيء عنه غير القرآن الكريم ... هذه مَطِيَّة أغلبهم وكأنهم يصُدُّون عن قوس واحدة ومنبع واحد.

3. الوقفة الأولى: مع الشبهة أعلاه ونعني نصوص النهي عن كتابة السنة وتدوينها وهي وقفة منهجية كالتالي : هذه النصوص التي تحكي عن النهي عن كتابة السنة كلها منقولة ضمن السنة التي يشككون بها ويشككون في طريقة نقلها وفي الأشخاص الذين نقلوها بما فيهم النقلة من الصحابة أنفسهم ناهيك عن غيرهم ... السؤال الموضوعي الواضح البين بشدة : أهذه النصوص ((ثابتة)) عندهم؟؟ من أين لهم وكيف؟؟ هل هم على يقين أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قالها ونص عليها؟؟ هل يجزمون أن رسول الله عليه الصلاة والسلام نهي عن التدوين في أول الأمر أو آخره .. المهم صدر عنه نهي بعدم تدوين السنة وعدم كتابتها و عدم رصدها؟؟ لو كانوا يوقنون بهذا فكيف أثبتوه؟؟ كيف أثبتوا أن السنة نجت عن تدوين السنة؟؟ بأي طريق؟؟ أهي آية في كتاب الله قالت : ((يأيتها الذين آمنوا لا تكتبوا عن رسول الله عليه الصلاة والسلام سوى القرآن؟؟)) أهو هذا؟؟ إن كانوا يرون هذه النصوص قد صدرت حقاً عن النبي صلى الله عليه وسلم فإن هذا يعني أن كل النصوص الأخرى التي وردت بنفس وسيلة وطريقة ورودها صحيحة مثلها وحينها بلا أدنى تعسف أو جهد أو عناء يلزمهم الأخذ بالجميع إن كانوا صادقين في منهجهم غير متناقضين فيه . فرؤاة هذه الأحاديث -التي يطّيرون بها فرحاً- هم أنفسهم رؤاة باقي السنة من الصحابة والتابعين وغيرهم حتى يومنا هذا ..

4. الوقف الثانية: وقفة منهجية أيضاً .. منكرّو السنّة يرفضون طريقة المحدثين القديمة في غربلة

الأحاديث وتمحيصها ونسبها للنبي عليه الصلاة والسلام ويعرضون معايير جديدة هي في توهمهم أولى وأسد وأحكم .. مثال لمعاييرهم ((قاعدة العرض على القرآن فإن وافق الحديث المصحف أخذنا به وإلا ضربنا به عرض الحائط طالما وجدنا من الحديث مخالفة ومجانبة لما في القرآن كما يزعمون)) لو طبقنا هذه المنهجية على هذه الأحاديث التي تنهى عن كتابة السنة هل ستكون موافقة للقران أم ستكون مخالفة له؟؟

هم يزعمون أن رصد السنة منهي عنه مطلقاً والحال كذلك حين العرض على القرآن نفسه نجد التالي:

- ((قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ)) .

- ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ)) .

- ((قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ

تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ)) .

- ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ)) .

- ((وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)) .

- ((وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ

وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا)) .

- ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ)) .

نكتفي بهذا القليل من كثير جدا على شاكلته لنقول التالي:

في الآيات أعلاه كان التالي:

■ جعل ربنا سبحانه وتعالى طاعة الرسول ﷺ سبباً لنيل رحمته.

■ جعل ربنا سبحانه وتعالى مطيع رسول الله عليه الصلاة والسلام تحديداً مع الذين أنعم الله عليهم

في الجنة من النبيين والصديقين.

■ جعل ربُّنا سبحانه وتعالى في طاعة رسول الله عليه الصلاة والسلام (حياة) لمن أطاعه.

■ جعل التَّوَلَّى عن طاعته كفراً وسبباً لبطلان الأعمال.. وغيره وغيره فهل يستقيم عند دعاة ومدعي

العقلانية والتجديد أن يأمر ربنا سبحانه بكل هذا ويرتب عليه ويحض ويحث ثم ينهى عن كتابة هذه السنة نهيًا مطلقاً طوال حياة النبي ﷺ؟ أيعقل هذا؟؟ أن يأمر القرآن رسوله الذي أنزل عليه أن يبين للناس ما نزل إليهم ثم يمنع توثيق هذا البيان لمن يأتي بعده من أهل هذا الدين الذي صار للناس كافة؟؟

5. نتوجه صوب آياتٍ أخر في القرآن نفسه الذي يزعم أهلُ التنوير إعترصامهم به لا بسواه يقول

تعالى ((يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا)) هل يعقل أن تكون أطول آية في القرآن الكريم وهي آية الدين تأمر المسلمين بتوثيق ذبوتهم عن طريق الكتابة ... ثم في المقابل يأمرنا بعدم كتابة أقوال النبي ﷺ؟؟

هل يتفق مع حكمة الله تعالى خالق الكون أن يكون حريصاً أشدَّ الحرص على كتابة الديون ويأمر بهذا ثم ينهى عن كتابة أحاديث المصطفى ﷺ؟

إنَّ من يقول بأنَّ الله تعالى قد أمرَ في القرآن بكتابة الديون وحثَّ على ذلك ونهى عن كتابة أحاديث النبي ﷺ يجعلُ من نفسه أضحوكة بين العقلاء ...

6. للمرة الثالثة هنا نتوجه صوب آياتٍ أخر في القرآن نفسه الذي يزعم أهلُ التنوير إعترصامهم به لا بسواه.. لتأمل سوياً الآيات التالية :

- ((أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ)).

- ((وَإِذَا أَدْقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَاءٍ مَّسَّتْهُمْ إِذَا هُمْ مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ)) .

- ((وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ (10) كِرَامًا كَاتِبِينَ (11) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ)).

الآيات أعلاه وغيرها مما يشبهها تخبرنا بطريقة توثيق الملائكة لأعمال البشر والوسيلة التي ستتم محاسبتهم بها ألا وهي الكتابة والرصد .. في الآيات إشارات واضحة وتنبهات لا تخفى على أحد تُبين أهمية الكتابة في التوثيق .. فهل يستقيم أن تثبت أهمية الكتابة هنا وهناك ثم تتخلف حال توثيق السنة النبوية؟؟

كيف يُعَظَم القرآن قَدْر الكتابة ثم ينهَى عن كتابة أحاديث المصطفى ﷺ؟؟؟
7. ذكرنا أعلاه وقفةً أولى عن نصوص النهي عن تدوين السنة كيف ثبتت للقوم؟؟ ووقفه ثانية؟؟

حال عرض نصوص النهي هذه من السنة على القرآن نفسه ماذا وجدنا؟؟؟

8. نأتي لنقطة جوهرية ومهمة ومحورية بمكان:

الخلاف مع القوم ليس في مسألة تدوين السنة إنما في حفظ السنة ... والفرق بين العبارتين كبير جداً فحفظ السنة أو الحفظ عموماً حتى لغير السنة له صورٌ عديدة ووسائل كثيرة من ضمنها الكتابة فهي إذن وسيلة من وسائل متعددة .. وهؤلاء المدلِّسون يأتون بنصوص النهي عن كتابة السنة بفهمهم المنحرف لها وافتراضهم أنّ هذا النهي دائم ثم يعمِّمون على كل وسائل حفظ السنة .. فتكون المعادلة عندهم كالتالي :

كل ما لم يكتب = كل ما لم يُحفظ

وهذه معادلة خاطئة قطعاً . يشهد بخطئها كل العقلاء.

وتليها معادلة أخرى مبنية على النتيجة الفاسدة السابقة:

النبي ﷺ نهي عن كتابة السنة = لا توجد بين أيدينا أقوالٌ صحيحة صدرت من النبي ﷺ

ويظهر من هذا أن هدفهم إنكار السنة وإخراجها من واقع الحياة وليس قصدهم أبداً تحديد آليات

المحدثين في حفظها . وهذا يوضح أنّ أقوال هؤلاء تُؤدّي في النهاية إلى هدم الإسلام كله وهذا هو

هدفهم البعيد . والسنة هي الخطوة الأولى التي سيبدوون بها . فالسنة أولاً والبقية تأتي ... لكن سبق

القضاء أن الدين محفوظ أمّا القرآن فتكفل ربي به مباشرة سبحانه وتعالى ((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ

لِحَافِظُونَ)) وأما السنة فقيض ربي لها رجالاً قال عليه الصلاة والسلام ((يحمل هذا العلم من كل

خلفٍ عدوله ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين))

نعود لنقرر ونكرر ونؤكد التالي:

لم يقل أحدٌ من علماء الحديث أنّ الوسيلة الوحيدة لحفظِ أحاديثِ النبي ﷺ كانت هي الكتابة ... بل إنّ القرآن الكريم نفسه لم يُحفظ بواسطة الكتابة فقط ... وكان الحفظُ في الصدور هو الشأن الأول والعهد أي حفظ الصدور أعني لا حفظ السطور وكانت الكتابة هي الوسيلة المساعدة وليست الوسيلة الأساسية .

فإذا كان حفظ الصحابة للسنة في صدورهم غير كافٍ للوثوق بها فكذلك القرآن الكريم حُفظ في نفس الصدور بجوار السنة وحفظه نفس الأشخاص وبالتالي هو كذلك مشكوك في صحة نصه كما نزل من السماء والعيادُ بالله .

ويظهر أنّ القوم في غمرة تشكيكهم في الأحاديث التي تُفيد تدوين السنة في عهد النبي ﷺ نسوا أن يشككوا في الأحاديث التي أمر فيها النبي ﷺ بحفظ وتبليغ أقواله الشريفة للناس .

عن زيد بن ثابت ، أنّ النبي ﷺ قال : ((نصّر الله امرأً سمع منا حديثاً فحفظه وبلغه غيره ، فربّ حاملٍ فقهٍ ليسَ بفقيهٍ)) . رواه الترمذي

و عن أبي بكره قال : قال رسول الله ﷺ : « ليبْلَغُ الشاهدُ الغائبَ - مرتين - ، فربّ مُبْلَغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ »

والأحاديث في هذا المعنى كثيرةٌ وكُلها تدلُّ على أنّ النبي ﷺ قد أمر بحفظ حديثه الشريف وتبليغه للناس . دون تحديدٍ لوسيلة الحفظ سواءً كان بالكتابة أم كان بغيرها .

وهذا يثبت أن الشريعة الإسلامية قد أمرت بحفظ أقوال النبي ﷺ ولم تحدد لذلك صورة معينة . وأنّ رواية الصحابة الكرام لأحاديث النبي ﷺ كانت إستجابة لهذا التوجيه الشرعي المتكرر .

ومن السخف البالغ أن يزعمَ زاعم أنّ الشريعة الإسلامية قد أمرت بطاعة أقوال النبي ﷺ وأمرت بحفظها وأمرت بتبليغها ثم نعت عن كتابتها ... للبحث بقية ونكتفي بهذه الإلماحة ولنا تكملة في مواضع آخر وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين